

الشعب الحميري (اليعربي)
في الشمال الإفريقي
(الأشراف الأحرار)

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليمني، محمد بن عبد العزيز

الشعب الحميري (اليعربي) في الشمال الأفريقي (الأشراف الأحرار)/

محمد عبد العزيز اليمني

الرياض، ١٤٣٦هـ

٤٢ ص ١٧×٢٤

ردمك: ٥-٧٤-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨

أ. العنوان

١٤٣٦/٨٢٤٤

١. البرير - تاريخ

ديوي ٩٠٩.٠٤٩٣٣

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٢٤٤هـ

ردمك: ٥-٧٤-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ - ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail eshbelia@hotmail.com

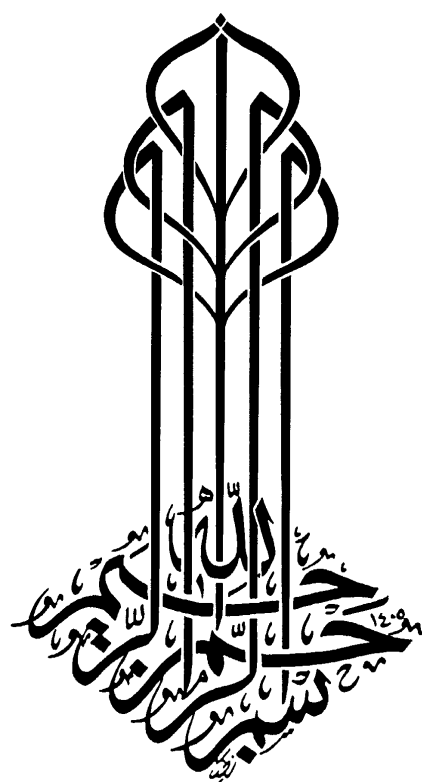


الشعب الحميري (اليعربي)
في الشمال الإفريقي
(الأشراف الأحرار)

إعداد

أ. د. محمد بن عبد العزيز بن سعد اليمني
قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية
جامعة الملك سعود

دار الكتب
للنشر والتوزيع



الشعب الحميري (اليعربي) في الشمال الإفريقي (الأشراف الأحرار)

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن
تبعه بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد:

فالحديث عن الشعب الحميري في شمال إفريقيا حديث ذو شجون؛
لأنه حديث عن أمة ضاربة في التاريخ. متى الوصول؟ سببه؟ أصوله؟
تركيبته؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي اشتدَّ الخلاف فيها بعد عصر
الاستعمار دون ما سبقه من عصور متطاولة بسبب رغبات المستعمرين
ومن دان بدينهم أو استهوى منهجهم من أبناء الشعب الحميري.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:
١٣]. فالقصد ليس الفخر والخيلاء، وإنما الوصول للحقيقة. وهو
اجتهاد يقبل الخطأ، وحسبي أني استفرغت وسعي، فإن أصبت فمن الله
وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله. أسأل الله أن يوفقني
لقول الحق لا راغبا ولا راهبا من غير الله.

وسيكون الكلام في نقاط هي:

أولاً: المقصود بالشعب الحميري:

هو الشعب المسمى بالبربر أو الأمازيغ والشلوح والريف والطوارق... الخ التي تعني المجموعات البشرية المحتفظة بلغتها الخاصة المتميزة عن العربية الفصحى، والموروثة من قبل الفتح الإسلامي. وكذلك يشمل هذا المصطلح - الحميري - البربر الذين تركوا لغتهم الأولى، وأصبحوا في العرف الحادث عرباً، أو يمكن التعبير عنهم جميعاً بسكان شمال إفريقيا من ليبيا إلى المغرب الأقصى قبل الفتح الإسلامي. ويضاف إليهم العرب القادمون مع الفتح الإسلامي من القبائل اليمانية.

ويضاف إليهم أيضاً القبائل العربية اليمانية التي هاجرت إلى الشمال الإفريقي مع القدوم الكبير للقبائل العربية فيما يعرف بتغريبة بني هلال، ومن أشهر تلك القبائل قبائل المعقل من بني الحارث بن كعب. ولا أعني بالشعب الحميري هنا أنهم جميعاً من نسل حمير، وإنما هو انتساب للعهد الحميري وللحضارة الحميرية الكبيرة في التاريخ.

وإلا فلا ينكر وجود مجموعات من غير الحميريين مثل قبائل كهلان اليمانية، كمذحج وطيء والأزد وهمدان ولخم وجذام وعاملة وكندة

وختعم وغيرهم ممن هم تابعون لإمبراطورية حمير، بل لا ينكر وجود قبائل يمانية يعربية أقدم مثل كنعان القادمة من الشام، ومن خرج منهم كالفيثيين، ومنهم حضارة قرطاجة أشهر الحضارات في شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي والمعدودة من حضارات أهل البلاد لا من الغزاة كالرومان ونحوهم، وكذلك العماليق والسبأيون القدامى والمعينيون. كذلك لا ينكر وجود أحلاف دخلت معهم من أقوام وأجناس أخرى لكنها بدرجة أقل من الحاميين أو الآريين ونحوهم وهذا موجود في كل العالم بل حتى عند العرب في الجزيرة العربية نفسها، فالحلف يقوم في كثير من الأحيان مقام النسب.

ثانياً: الشمال الإفريقي؛

أقصد بشمال إفريقيا الدول التي ينتشر فيها الشعب الحميري المسمى بالبربر أو الأمازيغ، ويدخل من ضمنهم ما سمي خطأً بالمستعربين من البربر وهو خطأ شائع؛ ذلك أنهم عرب أفتح جذوراً وأصلاً وإن مرت عليهم عجمة لسان بسبب تطاول السنين عليهم في بلاد سادت فيها العجمة قروناً وهي دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ومالي والنيجر وبركينا فاسو، فهذه دول الانتشار للشعب الحميري

وهي تتفاوت في نسبة الحميريين فيها فمن الأغلبية المطلقة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا إلى أقلية في البقية.

ولن أتحدث عن مصر والسودان وتشاد مع أن الشعب الحميري العربي موجود فيها بكثرة؛ لأن الأمر سيطول جداً، فهذه الدول الثلاث تحتاج إلى ورقة مستقلة.

ثالثاً: الحضارة الحميرية وأثرها في الشمال الإفريقي؛

الحضارة في اليمن قديمة قدم التاريخ بل هي أقدم الحضارات وأقواها في القديم من الزمن، فقد كانت اليمن قصبة العالم وقاعدته وأبناء يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام اليمانيون هم بداية الحضارة العالمية من حضارة معين وقتبان وسبأ وأخيراً حمير^(١)، وقد جاء في القرآن إشارات إلى ملك اليمن وقوته وتدرجه من القوة إلى

(١) وكانت اليمن تعرف بالصحن الطفح لكثرة الهجرات التي خرجت منها لتملاً العالم. وقد تحدث المؤرخون اليونان واللاتين عن عظمة اليمن مما يؤيد ما نقلته الأنباء العربية عن أن اليمن كان مقرأً لأقوى دول الأرض في بعض الأزمنة الغابرة فقد امتد حكم ملوكها ثلاثة آلاف سنة، وأنها غزت بلاد الهند والصين في المشرق وبلغت بغزواتها مراكش في المغرب. انظر حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٩١، نقله للعربي عادل زعيتر، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الضعف بسبب طاعتهم لله ومعصيتهم له قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًا وَيَوْمَئِذٍ ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿سبأ: ١٥ - ١٩﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿الدخان: ٣٧﴾، وَقَالَ تَعَالَى: (وَأَصْحَابُ الْآيَةِ قَوْمٌ مُّبْتَلَوْنَ كُلُّ كَذَّابٍ أَلْسِنَتُهُ لُغْوٌ وَهُوَ كَافٍ ﴿ق: ١٤﴾).

عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم)^(١) ، وقد فسرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٥ / ٣٤٠) تعليق شعيب الأرنؤوط على أحاديث المسند: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة وأبي زرعة عمرو بن جابر وأبو زرعة أشد ضعفا.

بقولها: (كان تبع رجلاً صالحاً ألا ترى أن الله عز و جل ذم قومه و لم يذمه)^(١).

وتبع هو لقب ملوك اليمن وهم التبابعة، وهو يماثل الأكاسرة عند الفرس، والقياصرة عند الروم.

وقد ذكر بعض المفسرين أن تبع المذكور في القرآن هو أسعد أبوكريب - كرب -.

(أسعد الكامل) الذي ملك ثلاثمائة وستاً وعشرين سنة، وهو الذي حاصر المدينة ثم سالم أهلها بعد أن ذكر له أنها مهاجر النبي ﷺ، وترك عندهم لوحاً فيه شعر يذكر أنه مؤمن بالنبي ﷺ وقد توارثوه إلى أن وصل إلى أبي أيوب الأنصاري ﷺ الذي نزل عنده النبي ﷺ.

وهو الذي كسا الكعبة في روايات متواترة ويوجد في مكة مكان يسمى دار التبابعة لعله منسوب له. قال سعيد بن جبير: هو الذي كسا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢ / ٤٨٨) ووافقه الذهبي في التلخيص بذيل المستدرک.

البيت الحبرات^(١). وقد ذكر من فتوحاته الشيء الكثير في المغرب والمشرق.

وقد اختلف فيه هل هو نبي أو ملك صالح، فقال ابن عباس: نبي وقال كعب الأحبار: ملك... ولما رجع قومه للكفر بعده سلط الله عليهم سيل العرم^(٢).

والتبابعة في حضارة سبأ أكثر منهم الصالحون ومنهم الفاسدون فهي حضارة قديمة جداً بل من أقدم الحضارات قطعاً، وقد ذكرت في كل كتب الأقوام القديمة مثل اليونان والرومان بل ذكرت في التوراة وغيرها، ولا يضرها المبالغات والأساطير التي ألصقت بها فهذا أمر معهود من الناس، ولو نظرنا إلى الأدب الشعبي المتعلق بتغريبة بني هلال وأبي زيد الهلالي لوجدنا عجباً، وهي أقرب عهداً وأقل شأناً في التاريخ، ومع ذلك لا تنكر التغريبة.

(١) الحبرات: جمع حبرة وهي كساء من صنع اليمن. انظر لسان العرب ٤/ ١٥٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٧/ ٢٥٨، وتفسير البغوي ٧/ ٢٣٣، وروح المعاني

للألويسي ١٣/ ١٢٨.

ومن أشهر التبابعة الذين دخلوا شمال إفريقيا وملكوها وأبقى فيها قبائل وعشائر باتفاق جمع من المؤرخين العرب والبربر القدامى قبل لوثة الاستغراب الحارث الرائش، ثم ذو المنار الذي رفع المنار ليهتدى به، ثم ابنه أفريقيش بن ذي المنار بن الرائش الذي سميت إفريقية^(١) عليه وهو من ساق الجنود من اليمن بل وساق كنعان - هي من عماليق اليمن سكنت الشام - بعد هزيمتهم من طالوت إلى شمال إفريقيا وأسكنهم فيها، بل ذكر المؤرخون أنه وصل طنجة فأعجبته فأسكن من قومه قبائل كُتامة وعهامة وزناتة ولواتة، وصنهاجة.

وقد يلمس من روايات المؤرخين أن البربر يتكونون في القديم من صنفين من الناس هم: الجنود والجيش الحميرية التي خلفها التبابعة في شمال إفريقيا ومنهم قبائل صنهاجة وملتونة وهوارة وكتامة وعهامة وزناتة ومغلية ولواتة... الخ والصنف الآخر وهو الأقدم من العماليق. (كنعان وغيرهم) من اليمانية الشمالية وقد سبقوا بسبب الحروب والضغط العسكري في المشرق، وكان ملكهم جرجير وقد قتله أفريقيش^(٢).

(١) انظر: تاريخ أبي الفداء ٩٥/١، وتاريخ ابن الوردي ٥٦/١.

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦٧/١، وتاريخ ابن خلدون ٥١/٢.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أنه ذكر في سبب تسمية ملوك اليمن بتبع أنه يتبع الشمس كما يتبع الظل الشمس؛ ومعنى ذلك أنه يسير بغزواته إلى كل مكان تطلع عليه قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞﴾ (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبِيلًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ ۖ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبِيلًا ﴿

[الكهف: ٨٣ - ٩٠].

فدو القرنين من تباعة اليمن الصالحين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المؤرخين الذين بينوا نسبه، وأنه الصعب ذو القرنين بن ذي مرائد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي ملح بن عار الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح^(١).

(١) انظر تاريخ أبي الفداء ١/ ٩٥.

وقد سار بجيشه إلى مشارق الأرض ومغاربها، فوصل إلى مغرب
الشمس ولا أظنه إلا بحر الظلمات - المحيط الأطلسي - داعياً
للتوحيد، وهو ممن اختلف فيه هل هو ملك صالح أم نبي؟ وعلى كل
حال فيكفيه شرفاً ذكره في القرآن، وقد تغنت به العرب حتى قبل
الإسلام ونظمت فيه الأشعار، قال ابن حجر: «والذي يقوي أن ذا
القرنين من العرب كثرة ما ذكروه في أشعارهم.
قال أعشى بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا

بالحنو في جـدث هناك مقيم

والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية المشرق.

وقال الربيع بن ضبيع:

والصعب ذو القرنين عمر ملكه

ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا

باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال تبع الحميري:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً

ملكاً تدين له الملوك وتحشد

من بعده بلقيس كانت عمتي

ملكتهم حتى أتاها الهدد

وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب

قوماً من مضر:

سَمَّوْا لَنَا واحداً منكم فنعرفه

في الجاهلية لاسم الملك محتملاً

كالتبعين وذو القرنين يقبله

أهل الحجى فأحق القول ما قبل^(١)

وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي بن الصحابي:

فمن ذا يعاددنا من الناس معشراً

كراماً فذو القرنين منا وحام

انتهى.

(١) المواعظ والاعتبار - (١ / ١٩١).

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب، ووقع ذكر ذي القرنين أيضا في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم^(١).

وقيل: إن ذا القرنين هو أبو كرب سمي ابن عمير بن أفريقيس الحميري، وهو الذي افتخر به تبع اليماني حيث قال: قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفند بلغ المغارب والمشارق يبتغي أسباب ملك من حكيم مرشد فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرم^(٢).

ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي رعين وذي يزن وذي جدن^(٣). وذكر أنه كان في عصر إبراهيم عليه السلام، وأنه اجتمع معه في مكة المكرمة وتعانقا^(٤).

(١) فتح الباري - ابن حجر - (٦ / ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) خلب: أي طين. انظر لسان العرب لابن منظور ١ / ٣٦٥. والثأط: الطين تغير أو لم يتغير. انظر لسان العرب لابن منظور ٧ / ٢٦٦. والحرم: الطين شديد السواد المتغير الرائحة. انظر لسان العرب لابن منظور ٣ / ١٤٨.

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان محمد البيروني ص ٤١.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٨.

والقول أنه أحد تبابعة اليمن الكبار الذي غزا إفريقيا وفتحها قول له وجاهته:

١ - لأن ذا القرنين بلغ بنص القرآن مغرب الشمس أي غاية المنتهى في الغرب، وهذا يصدق على المغرب الآن، فهو نهاية العالم في القديم وهو ما يسمى ببحر الظلمات ولم يدع أحد لا الفرس ولا الإغريق أن أحداً من ملوكهم بلغ مغرب الشمس - فلم يعطهم بعض المسلمين شرفاً لم يدعوه -، وإنما من ذكر ذلك هم اليمنيون من قديم الأزمان، بل حتى الشعراء نظموا في ذلك فقد بينوا اسمه وأنه الصعب ونسبه وقد سبق. وذكر بعضهم أنه سار إلى شمال إفريقية بمحاذاة البحر المتوسط وبنى إفريقية فلعله إفريقيش المذكور في التواريخ.

٢ - والقول بأنه كورش فارس أو الإسكندر المقدوني بعيد جداً؛ لأنه لم يعلم لكورش فتوحات كبيرة خارجة عن المؤلف كالذي نبه له القرآن في قصة ذي القرنين، وأما الإسكندر فقد كان وثنياً^(١) وغاية

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية ١١ / ١٧١، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ / ٢ / ٢٦٣.

فتوحاته أفغانستان، وانكسر فيها^(١).

٣- ثم إنه يحمل لقب ذي القرنين، والأذواء لا تعرف إلا في ملوك اليمن.

٤- وسئل ابن عباس رضي الله عنهما وهو ترجمان القرآن عن ذي القرنين ممن كان؟ فقال: (من حمير، وهو الصعب بن ذي مرثد الذي مكنه الله تعالى في الأرض وأتاه من كل شيء سبباً، فبلغ قرني الشمس، ورأس الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج).

وسئل كعب الأحبار عن ذي القرنين؟ فقال: (الصحيح عندنا من أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير)^(٢).

وفيه يقول النعمان بن بشير:

فمن ذا يعاددنا من الناس معشراً

كراماً فذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثي:

(١) انظر: أفغانستان - التاريخ العسكري منذ عصر الإسكندر الأكبر حتى سقوط

طالبان - لستيفن تانر، ترجمة نادية إبراهيم، مراجعة شهاب الدين أحمد، كلمات

عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط الأولى، ١٤٣١ هـ ص ٧٠-٧١.

(٢) المواعظ والاعتبار - (١ / ١٩١)

سَمَّوْا لَنَا وَاحِدًا مِنْكُمْ فَنَعْرِفْهُ
في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذي القرنين يقبله
أهل الحجى فأحق القول ما قبل^(١)
٥ - قال تعالى: ﴿فَأَنْبَغَ سَبًّا﴾ [الكهف: ٨٥] والتبابعة إنما سموا
بذلك؛ لأنهم يتبعون الشمس في غزواتهم كما سبق ذكره وهذا على وجه
الاعتضاد.

٦ - وأما القول بأن النبي ﷺ لم يعلم خبره ولو كان من العرب
لعلمه^(٢) فهذا قول غريب؛ لأن النبي لم يقرأ ولم يكتب وهذا من
معجزاته والقرون متطاولة بينه وبين ذي القرنين فأمر متوقع عدم علم
النبي ﷺ به وبغيره من التبابعة. والعراق والشام ليسا بعيدين عن
مكة، فإذا استغرب عدم علمه لو كان من العرب فكذلك يكون الحال
لو كان من الفرس أو الروم ولا فرق.

(١) المواعظ والاعتبار - (١ / ١٩١).

(٢) انظر: www.quran-m.com

والمقصود من كل هذا السرد عن ذي القرنين بيان أصل البربر وقدمهم إلى شمال إفريقية، وأن من المرجح أن يكون من قادهم هو ذو القرنين المختلف في نبوته، وهذا شرف عظيم لهم؛ فذو القرنين قائدهم بل أبوهم وزعيمهم وكفى به شرفاً.

رابعاً: الأدلة على أن أكثر سكان شمال إفريقيا من حمير واليعربيين:

الأدلة غير ما سبق كثيرة جداً حتى اعترف بهذا المستشرقون المنصفون منهم جابريل كامبس في كتابه (البربر ذاكرة وهوية)، حيث يقول: إن علماء الأجناس يؤكدون أن الجماعات البيضاء بشمال إفريقيا سواء كانت ناطقة بالبربرية أو بالعربية، تنحدر في معظمها من جماعات متوسطة، جاءت من الشرق في الألف الثامنة قبل الميلاد بل ربما قبلها، وراحت تنتشر بهدوء بالمغرب والصحراء^(١).

ويقول المستشرق الألماني أوتو روسلر: إن اللغة النوميديّة أي الأمازيغية لغة سامية بمعنى لغة عربية انفصلت عن اللغات السامية في

(١) البربر الذاكرة والهوية ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ص ١١.

المشرق في مرحلة مغرقة في القدم^(١). ويقول الفرنسي فلوريان: التطابق الكامل بين العرب والبربر فيما يلي: أصل مشترك، لغة واحدة، عواطف واحدة، كل شيء يساهم في ربطها ربطاً متيناً^(٢). بل يقول أوفستينوس - القديس عند النصراني الرومان - إنه عندما يسأل البربر ما أصلكم يقولون كنعانيون^(٣).

على آخر تلك النقول التي لا أقصد منها الاعتماد، وإنما لإبطال من يجعل كلام الغربيين قرآناً لهوى في نفسه.
وأما الأدلة فلن أستطيع أن آتي عليها ولكن أكتفي من القلادة بما أحاط العنق، ومنها:

١ - أن كبار وقادة الشعب الحميري مقرؤون بهذا في جزيرة العرب وفي شمال إفريقيا بل بلغت حد التواتر، قبل لوثة الاستعمار.
وأما ابن خلدون فإنها جاءه الغلط من نسبة كنعان إلى حام، حيث

(١) انظر: الأصول العربية للغة الأمازيغية <https://fr-facebook.com/note>.

(٢) انظر: البربر يمانيون لا أوروبيون للدبش ص ٥.

(٣) انظر: النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، الاليسكو، تونس، ١٩٨٨م ص ١٣، وعروبة البربر لمادون ص ٤٠.

قال: والصحيح أنهم من كنعان بن حام^(١). وهذا من أكبر الأخطاء حيث إن الكنعانيين من العرب اليمنية الأولى^(٢). بل إن ابن خلدون أقر بنسبة الكنعانيين الذين منهم جزء من البربر إلى الساميين^(٣).

ثم هو يعود ويفرق بين قبائل البربر فيقر بدخول الحميريين إلى شمال إفريقيا وملكهم لها، وتركهم لقبائل هناك، وهذا نص قوله: وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمسة وعشرين سنة، وكان يسمى تبعا وكان مؤمنا فيما قال السهيلي، ثم ملك بعده ابنه أبرهة ذو المنار مائة وثمانين سنة.

قال المسعودي، وقال ابن هشام: أبرهة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذى مدائر بن الملطاط، وسمى ذا المنار؛ لأنه رفع المنار ليهتدى به ثم ملك من بعده أفريقش بن أبرهة مائة وستين سنة.

(١) تاريخ ابن خلدون (٢ / ٧). قد يوجد كنعان بن حام لكنه غير الكنعانيين سكان الشام الذين ينتمي لهم جزء من البربر ..

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧٨/١، تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٢٥/١، وسمط النجوم العوالي للعصامي ٥١ / ١، والأنساب للصحاري ٢٧/١ والأعلام للزركلي ٨٨/٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٧/٢.

وقال ابن حزم: هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائش وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان. مر بها عندما غلبهم يوشع وقتلهم فاحتمل الغل منهم وساقهم إلى إفريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير، ويقال إنه الذي سمى البرابرة بهذا الاسم؛ لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البرابرة. والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الأسد، ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها وليسوا من نسب البربر قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين^(١).

ولن أستعرض أقوال المؤرخين في القديم من العرب والبربر بل سأكتفي بافتخار يوسف بن تاشفين بحميرته جاء في ترجمته: يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك المثلثين سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين.

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٥١.

ولد في صحراء المغرب، وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين. وجال جولة في المغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى على مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له. واستخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب (سنة ٤٦٣ هـ فاستقل به. وبنى مدينة مراكش سنة ٤٦٥ وكتب إليه المعتمد بن عباد (سنة ٤٧٥) من إشبيلية، يستنجد على قتال الفرنج، فزحف بجموعه، فكانت وقعة "الزلاقة" المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنج الزاحف من طليطلة، كسرة شديدة (سنة ٤٧٩) وبايعه بعد انتهاء الوقعة، من شهداها معه من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعي بالأمر. وضرب السكة من يومئذ وجددها، ونقش ديناره (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين) وكتب في الدائرة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، (٤١٠ - ٥٠٠ هـ = ١٠١٩ - ١١٠٦ م)^(١).

(١) الأعلام للزركلي ٨ / ٢٢٢.

بل إن شاعر الهجاء يحيى بن عبد الجليل بن سهل اليكبي^(١) قال في
هجاء المرابطين وأميرهم علي بن يوسف:
«المتمون لحمير، لكنهم
وضعوا القرون مواضع التيجان»
«لاتطلبن مرابطا ذا عفة
واطلب شعاع النار في الغدران»^(٢)
وكذا لم ينس مادحه من نسبته إلى حمير، حيث يقول محمد بن سليمان
أبو بكر الأندلسي الوزير الكاتب^(٣):

-
- (١) أبو بكر: شاعر هجاء، متصرف في المعاني، ينعت بهجاء المغرب. وهو من أهل
"يكة" أحد حصون مرسية. كان كثير الهجاء للمرابطين "الملثمين" وأميرهم علي
ابن يوسف بن تاشفين (٠٠٠ - نحو ٥٦٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ١١٦٥ م)
الأعلام للزركلي - ٨ / ١٥٢ .
- (٢) الأعلام للزركلي ٨ / ١٥٢ .
- (٣) المعروف بابن القصيرة له شعر عذب، ولسان غضب، ونظم رائع، وفضل
فائق. وله شعر في مدح يوسف بن تاشفين المستولي على المغرب يومئذ.
المحمدون من الشعراء ١ / ١١٦ .

فسارا إلى الطعان حليف صدق
تثور به الحفيظة والذمائم
نمى في حمير ونمتك لحم
وتلك وشائج فيها التحام
فيوسف يوسف إذا أنت منه
ك "يأمن" لا وهى لكما نظام^(١)

وهذا أبو فتح المنصور الزيري الصنهاجي بالقرن العاشر الميلادي
يعتز بانتائه الحميري فيقول لمهنتيه بالإمارة معرضاً بالفاطميين: إن أبي
وجدي أخذنا الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في
هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب؛ لأني ورثته عن آبائي
وأجدادي الذين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير^(٢).

وفي ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب:

(١) المحمدون من الشعراء ١ / ١١٦.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري ١ / ٣٤٣، بيروت
١٩٥٠م.

«قوم لهم شرف العلا من حمير
وإذا انتموا صنهاجة فهم هم»
«لما حووا إحراز كل فضيلة
غلب الحياء عليهم فتلثموا»^(١)

وروي:

قوم لهم العلى من حمير
وإذا دعوا لتوننة فهم همو
لما حووا علياء كل فضيلة
غلب الحياء عليهم فتلثموا
٢- وما دعاهم للانتفاء للعامة في ذلك الوقت وترك الانتفاء للخلفاء
والرؤساء من مضر إلا صدق دعواهم وتجردهم نحسبهم.

٣- اللقب الذي حملوه معهم من أرض اليمن إلى شمال إفريقيا من
أحرار يهتبر إلى الأشراف الأحرار سببه الثورة ضد الاستئثار بالسلطة
وترك الشورى في الحكم، والهزيمة ثم الرحيل، فقسم اتجه إلى الحبشة
وهم الجعزيون ولقبهم الأحرار ذو الأنفة، وقسم اتجه إلى الشام ومنه إلى

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/ ٤، والكامل في التاريخ ٤/ ٢٧٢.

شمال إفريقيا وهم الأمازيغ الأشراف الأحرار، وهذا هو الدخول الأول قبل ثلاثين قرناً من الميلاد^(١).

٤ - الشبه الجسماني حتى في الاختلاف بين الصحراويين والجبليين فالبياض والشقرة بل وخضرة العيون توجد في الجبليين، ولون الحنطة والسمرة في أهل الصحراء مثلاً بمثل بين اليبانية المشرقية والمغربية دون أدنى فرق.

٥ - اللغة. شبه كبير بين اللغة الحميرية ولهجات البربر أثبتته علماء الصوتيات، بل الخط المسند قريب من التيفيناغ وهما من لغات الضاد والظاد. بل العامود الفقري للغة حمير والبربر وزن أفعول وهم يتميزون به (أحنوب، أعبوس، أحبوش، ألزنوم، الأشلوح، الأعهوم، الأكنوس، الأكسود الأعمور، الأكهوم، الأوسون، الأيزون). وكلها أسماء لقبائل وقرى حميرية.

بل لا زالت بعض القبائل في جنوب الجزيرة العربية تتخاطب بلغة حمير القديمة وهي شبيهة ولهجات البربر مثل: ظفار والمهرة وسقطرى وفيفا^(٢).

(١) انظر: عروبة البربر لمادون ص ٩.

(٢) الولد في موريتانيا وشبهها بقبائل اليمن، فولد فلان منتشرة في النسب في موريتانيا وغيرها من بلاد المغرب وفي الكثير من قبائل جنوب الجزيرة العربية.

٦- الآثار على طول الطريق من جنوب الجزيرة العربية إلى المغرب العربي.

فقد أثبت علماء الآثار النفس اليمني الحميري في البناء والآلات والآنية.

بل أسماء الأماكن انتقلت مع الحميريين، فسوسة كانت حضرموت والأشلوح اسم قبيلة وقرية في اليمن واسم شعب من البربر^(١).

٧- بل حتى الحداء والغناء فيه شبه بين البربر وبين المهرة وظفار الحميرية، وقد بين هذا الألمان كارل ولهم لحيان وهانز هولفريتز والنمساوي الموسيقار فون هورن جوسل^(٢).

٨- ثم الدليل الدامغ التطابق في DNA^(٣).

(١) انظر: المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية للنوايسة، وثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين لشفيق ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: مجلة دراسات يمنية دلالة المعمار اليمني على عروبة البربر لمنصور ص ١١٥-١١٦، العدد الثامن والثلاثون ١٩٨٩ م.

(٣) انظر الأصل الصحيح للبربر:

<https://ar-ar.facebook.com/kanembou.net/posts/750658314950036>.

٩- ولا صحة للقول بأن الحميريين من البربر ؛ لأن هذا يخالف العقل والمنطق والتاريخ.

فالحضارة المتغلبة الغازية بإجماع المؤرخين هي الحميرية والحبشة غزيت من اليمن واستولي عليها من قبل الجعزيين اليمنيين لقرون متطاولة، والحبشة يقرون بهذا، وأن ملوكهم من المهرة يمانيون، فلا يصح القول بأن الأمازيغ غزو اليمن عن طريق الحبشة.

١٠- البربر لفظة أطلقت من اليونان والرومان على كل من ليس منهم من قبائل جنوب المتوسط حتى على عرب الجزيرة، فكيف ينتسب البعض إلى من يعتبرهم برابرة^(١).

١١- طريقة التحنيط. وجد تطابق بين الموجود في الحضارة الحميرية والموجود عند قبيلة مشتى عربي البربرية في جزر الكناري^(٢).

١٢- لا عبرة بضعف اليمن الآن، فقد سادت حضارات وبادت

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٦٧/٣.

(٢) انظر عروبة البربر وقائع ودلائل - انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب العربي والجذور العربية اليمنية لقبائل البربر -، لمحمد حسين الفرح، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ٢٠٠٤، ص ٤٣.

مثل فارس والفراعنة. وأين سمرقند وبخارى!!؟ وقد عرف اليمن في
كتب اليونان والإغريق والرومان باليمن السعيد كما عرفت
الإمبراطورية البريطانية بالتي لا تغيب عنها الشمس.
قال أبو البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ
فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دُولُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحد
ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزق الدهر حتمًا كل سابعةٍ
إذا نبت مشرفياتٌ وخرصانُ
ويتضي كل سيف للفناء ولو
كان ابنَ ذي يزنَ والعمدُ عُمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ
وأين منهم أكالييلٌ وتيجانُ؟

وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ
وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب
وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ ؟
تُتى على الكُل أمر لا مَرْد له
حتى قَضُوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك
كما حكى عن خيال الطَّيفِ وسنانُ
دارَ الزَّمانُ على (دارا) وقَاتِلِه
وأَمَّ كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصَّعب لم يسهل له سببُ
يوماً ولا مَلِك الدُّنيا سُليمانُ
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنَوَّعة
وللزَّمان مسرَّاتٌ وأحزانُ
وللحوادث سُلووان يسهلها
وما حلَّ بالإسلام سُلووانُ

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له
هوى له أحدٌ وانهد ثهلانُ
أصابها العينُ في الإسلام فارتزأتُ
حتى خلت منه أقطارُ وبلدانُ
فاسأل (بلنسية) ما شأن (مُرسية)
وأيّن (شاطبة) أم أيّن (جيان)
وأيّن (قُربطة) دارُ العلوم فكم
من عالمٍ قد سما فيها له شأنُ
وأيّن (خمص) وما تحويه من نزه
ونهرها العذبُ فياضٌ وملاّنُ
قواعدٌ كنّ أركانَ البلاد فما
عسى البقاء إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفةَ البيضاءً من أسفٍ
كما بكى لفراقِ الإلفِ هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية
قد أفقرت ولها بالكفر عُمرانُ

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فـيـهـنَّ إلّا نـواقيـسٌ وصـلـبانٌ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانٌ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ
إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانٌ
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه
أبعد حمصٍ تغرُّ المرءَ أوطانُ ؟
تلك المصيبةُ أنستَ ما تقدمها
وما لها مع طول الدهرِ نسيانٌ
يا راكبين عتاق الخيلِ ضامرةً
كأنهما في مجال السبقِ عقبانُ
وحاملين سيوفَ الهندِ مرهفةً
كأنهما في ظلام النقعِ نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ
لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ

أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ
فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
وأنتم يا عبادَ الله إخوانُ ؟
ألا نفوسٌ أبأت لها همم
أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلّةِ قومٍ بعدَ عزِّهم
أحال حالهم جورٌ وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم
واليومَ هم في بلاد الكفر عبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثيابِ الذلِّ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهم عندَ بيعهم
لهالك الأمرُ واستهوتك أحزانُ

ياربَّ أمّ وطفلٍ حيلَ بينهما
كما تفرّق أرواحُ وأبدانُ
وظفلةٌ مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت
كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العُلجُ للمكروه مكرهه
والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ
إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانٌ^(١)

خامسا: العودة للأصل والجذور سبيل التمكين:

الشعب الحميري في المشرق والمغرب لم يعرف طعم التمكين والعز
إلا بطاعة الله والتوحيد.

فمن أسعد الكامل والصعب ذي القرنين إلى المنصور محمد بن أبي
عامر المعافري الحميري ويوسف بن تاشفين رحلة طويلة عمرها آلاف

(١) دواوين الشعر العربي على مر العصور ٤٨ / ١٤.

السنين شهدت حضارة حميرية قامت على طاعة الله والتوحيد فسادت لقرون خلت فلما عصت حمير ربها أزال الله ملكها وألبسها لباس الجوع والخوف، وكان انهيار سد مأرب وما تبعه من أحداث وتمزق في الأرض.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَٰهٌ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ٢٠].

ثم انهيار حكم الحميريين وزواله بسبب ما حدث في مذبحه الأخدود على يد ذي نواس المتهود قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ

﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ [البروج: ١ - ١١].

وقد كانوا سادة العالم ثم اقتصر حكمهم على العرب، وقد وفد عبد المطلب جد النبي ﷺ على سيف بن ذي يزن الحميري عندما استعاد ملكهم وخاطبه يا ملك العرب وهو آخر ملوك حمير، وبعدها لم تقم لهم قائمة في الشرق، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك حيث قال: (كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله عز و جل منهم فجعله في قريش وسيعود إليهم)^(١).

وإلى الآن لم يرجع ونحن ننتظر وعد الله لكننا مؤمنون بأنه لن يكون إلا بطاعة الله والعودة إلى الإيمان.

(١) مسند أحمد بن حنبل - (٤ / ٩١) تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده جيد.

وأما في المغرب فلم يكن للحميريين شأن كبير في العالم إلا بعد إسلامهم وصدقهم مع الله، فقد كان أبرز من حكم منهم الملوك الكبار: محمد بن أبي عامر المعافري الحميري في الأندلس، ويوسف بن تاشفين الصنهاجي الحميري وقد كانا من المؤمنين الصادقين نحسبهم ولا نزكي على الله أحدا. ثم دخل الحميريون في سبات إلا من بعض المؤمنين الصادقين الذين قاوموا الاستعمار كالخطابي ونحوه، ولكنهم لم يمكن لهم إلى أن نبتت نابتة في كنف الاستعمار ترى أن عز الحميريين في انسلاخهم من هوية الأجداد ودين الحق، والالتحاق بالمستعمر هوية وديناً وخلقاً.

وبئس ما صنعوا، فوالله لن يمكن للحميريين بهذا أبداً بدون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله التي رفعها الأوائل لن يمكنوا ولن يتحقق وعد النبي ﷺ بمثل هذه الدعوات وسيستمر الاستضعاف.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صُلُوبُهُمْ وَبِيعُوا وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَدْخُلُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص: ٤-٦].

لن ينتصر المستضعفون على الفراعنة المستكبرين إلا بالعودة إلى الطريقة التي أرادها الله لهم، (التوحيد). وبغير ذلك حرث في الماء لن يجدي شيئا، سراب ببيعة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ يَغِيغُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

ثم تفاءلوا بنصر الله وتمكينه ووعدته، لقد بشركم النبي ﷺ بأنكم أكثر أهل الجنة.

فعن عمرو بن عبسة السلمي قال : كان رسول الله ﷺ يعرض يوما خيلا وعنده عيينة بن حصن بن بدر الفزاري فقال له رسول الله ﷺ : (أنا أفرس بالخيال منك). فقال عيينة: وأنا أفرس بالرجال منك. فقال له النبي ﷺ : (وكيف ذاك؟) قال: خير الرجال رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم، جاعلين رماحهم على مناسج خيولهم لابسو البرود من أهل نجد. فقال رسول الله ﷺ : (كذبت بل خير الرجال رجال أهل اليمن والإيمان يمان إلى لحم وجذام وعاملة ومأكول حمير خير من أكلها وحضر موت خير من بنى الحرث وقبيلة خير من قبيلة وقبيلة شر من قبيلة، والله ما أبالي إن يهلك الحارثان كلاهما لعن الله الملوك الأربعة جمداء ومخوساء ومشرخاء وأبضعة وأختهم العمردة. ثم قال: أمرني ربي عز و جل أن ألعن قريشا مرتين فلعتهم، وأمرني أن أصلي عليهم فصليت عليهم مرتين). ثم قال: (عصية عصت الله ورسوله غير قيس وجعدة وعصية). ثم قال: (لأسلم وغفار ومزينة وأخلاطهم من جهينة خير من بني أسد وقيم وغطفان وهوازن عند الله عز و جل يوم القيامة). ثم قال: (شر قبيلتين في العرب نجران وبنو تغلب، وأكثر

القبائل في الجنة مذحج ومأكول^(١).

وقد ضعفه البعض مع صحة سنده التي لا لبس فيها، فقد صححه الألباني و الأرئوط والحاكم والذهبي. وله روايات أخرى ضعيفة أما هذه فصحيحة السند.

والحمد لله الذي لم يجعل أمر الجنة للناس، وإلا لمنع كثير من المستضعفين منها.

ومذحج المذكورة هي من أبناء عم حمير، ومن أصدق جند دولتهم فهم حميريون من هذا الوجه.

أسأل الله بتمته وكرمه أن يجمعنا في مستقر رحمته، وأن ينصر عباده ويعلي كلمته إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً..

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند (٤ / ٣٨٧) تعليق شعيب الأرئوط : «إسناده صحيح». و قال الألباني: «وهذا إسناده صحيح». انظر السلسلة الصحيحة للألباني ١٠٥ / ٦. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٩١ / ٤، وقال: «هذا حديث غريب المتن صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي التلخيص بذيل المستدرک.